

الحلقة الثانية والأربعون

سفر الجامعة

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. مازلنا ندرس سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

تابع سليمان الحكيم في اللقاء الماضي الحديث عن قراراته العملية. فتحدّث عن أهمية فعل الخير ونتائجه الإيجابية على حياة الإنسان. ولفت انتباهنا إلى ضرورة عدم تجاوزنا أو تحدّينا لقوانين الطبيعة. وشجّعنا عندما نقوم بعمل ما أن لا ننتظر الظروف المواتية بل نقوم بخطوات جريئة.

مستمعي الكريم، هل تقلق كثيراً بما سيحصل لك في المستقبل؟ لكن بما أن المستقبل مجهول بالكلية لديك أليس الأفضل أن تركز كل جهودك على الحاضر، فالحاضر هو الوقت الوحيد الموجود تحت تصرفك. بينما الغد هو في يد الله. ولقد عبّر سليمان الحكيم عن هذه الحقيقة عندما كتب قائلاً: « كما تجهل اتجاه مسار الريح، أو كيف تتكون عظام الجنين في رحم الأم، كذلك لا تدرك أعمال الله التي يجريها كلها. ازرع زرعك في الصباح، ولا تكف يدك عن العمل في المساء، لأنك لا تدري أيهما يُفْلح: أهذا المزروع في الصباح أم ذاك الذي في المساء، أم كلاهما على حد سواء؟» (الجامعة ١١: ٥ و ٦ تفسيرية)

بما أننا نجهل أين ستنتهي الريح، ولا ندري كيف تتكون عظام الجنين في بطن الحُبلى، وكذلك لا نعلم أعمال الله ونتائجها. لكن بإمكاننا أن نستفيد من الفرص المتاحة أمامنا. لهذا علينا أن نزرع أو نعمل في الصباح والمساء، وكلما كان الوقت متاحاً لنا، لأن ذلك سيضمن لنا النجاح. وبتعبير آخر بما أن المستقبل مجهول بالنسبة لنا، وفي يد الله، فمن الحكمة أن نغتني الفرص ونستفيد من الوقت. وعندما نستفيد من الوقت نضمن أن يكون بعض المستقبل أو كله لصالحنا. ولهذا علينا كما ذكر المخلص المسيح أن لا نقلق ونهتم بالغد، بل نستفيد من الوقت متاح أمامنا.

هل تعلم مستمعي ما هو أجمل شيء في الحياة؟ إنه النور، وأن يستطيع المرء رؤية الأشياء من حوله. ولهذا كتب سليمان الحكيم قائلاً: « النور حلّوٌ وخير للعينين أن تنظرا الشمس » (الجامعة ١١: ٧). فمن أروع الأمور أن يتمتع الإنسان بهبة البصر، ويرى الأشياء على حقيقتها. فكم هو جميل أن نرى الأشخاص من حولنا، والطريق الذي نسلك فيه لئلا نتعثّر أو نقع. وكذلك أن

نتمتع برؤية الطبيعة الجميلة الخلّابة التي أوجدنا فيها الله. وعلاوة على ذلك نستطيع قراءة الكلمات والجمل المفيدة، وأن نمتّع نفوسنا بمشاهدة كل ما هو مفيد ومسلّ.

وهذا يقودنا إلى البصيرة الروحية التي يجب أن يحصل عليها كل إنسان. وها هو المخلص المسيح يقول: « أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (بشارة يوحنا ٨: ١٢) أجل إن المسيح هو نور العالم الحقيقي، وعندما نحصل على هذا النور نتمتع بالبصيرة الروحية.

هل تعلم مستمعي أننا جميعاً كبشر خطاة نعيش في الظلمة؟ وأنا بالتالي لا نستطيع رؤية الحقائق الروحية؟ ولهذا نحن بحاجة إلى نور المسيح الذي يضيء حياتنا، فيطرد الظلمة من قلوبنا، ويحل مكانها النور الحقيقي، وهكذا نستطيع أن نرى الحقائق الروحية. ألا تود مستمعي أن تحصل على نور المسيح بالإيمان؟ إن نور المسيح هو الوحيد القادر على إضاءة حياتك، فيطرد الخطية من كل زواياها، وفي نفس الوقت يشع بنوره فتختبر خلاص الله وغفرانه لخطاياك. ولا تعود تمشي في طرق الظلمة، كما قال المسيح، بل تسلك بالنور، في طريق الحق والاستقامة.

مستمعي الكريم، كيف تقيّم أيامك؟ هل أنت راضٍ ومسرور بها؟ أم أنك تندب حظك؟ وهل تعلم أنه توجد أيام حلوة وأيام مرّة أيام سعيدة وأيام حزينة؟ وهل تدري أن هذه هي سنة الحياة. ولهذا عليك أن تقيّم أيامك التقييم الصحيح المتوازن. كتب سليمان الحكيم قائلاً: « إن عاش الإنسان سنين كثيرة وتمتع فيها جميعاً، فليتذكّر الأيام السوداء، لأنها ستكون عديدة. وباطل كل ما هو أت! » (الجامعة ٨: ١١ تفسيرية).

فماذا قصد الحكيم بهذه النصيحة؟ يدعوننا هنا الحكيم للتوازن في الحكم على أيامنا. فهي ليست جميعها بيضاء حلوة، وليست سوداء مرّة. يعيش بعض الناس كابوساً مستمراً، فهم دائماً متشائمون، غير راضين على حياتهم، ولهذا ينظرون إلى الحياة بنظارة سوداء. أما آخرون فتراهم متفائلون دائماً، راضون على أيامهم، إلى أن تفاجئهم الحياة بمصيبة مؤلمة أو حادث مؤسف، فيندبون حظهم.

إن الحياة يا صديقي ليست تشاؤماً مستمراً، ولا تفاؤلاً مستديماً. وعلى المرء أن يكون واقعياً يعلم أن في الحياة الحلو والمر، السعيد والمؤلم. أي على الإنسان أن يكون متوازناً في نظرته وتقييمه وحكمه على الأيام التي يمر بها. وإلا لعاش حياة مليئة بالتناقضات. لكن هل من الممكن أن يعيش الإنسان حياة هنيئة راضية بالرغم من الأيام السوداء التي قد يمر بها؟

أتى مرة شاب غني يتمتع بكل مقومات النجاح، ويبدو أنه يعيش أياماً سعيدة، إلى المخلص المسيح. وسأله أي صلاح عليه أن يفعل لتكون له الحياة الأبدية؟ فأجابه المسيح طالباً منه كيهودي أن يحفظ الوصايا، فقال له الشاب الغني أنه قد حفظ أي طبق كل هذه الوصايا منذ حدثته، فماذا يعوزه بعد؟ فأجابه المسيح: اذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني. فلما سمع الشاب مضى حزيناً. لأنه كان ذا أموال كثيرة. (بشارة متى ١٩: ١٦-٢٢)

لم يدرك الشاب سر الحياة الهنيئة السعيدة، وهي أن يعتمد على الله لا على أمواله، ويتبع المخلص المسيح، ولهذا مضى حزيناً. وأنت مستمعي: هل تراك تؤمن بالمخلص المسيح، فتدرك سر الحياة الهنيئة، المليئة بالاطمئنان بالرغم من الأيام السوداء؟ أم تصر على بقائك حزيناً.